مدخل إلى الآداب العالمية- سنة ثانية ليسانس -.....د. حميدة سليوة

المحاضرة رقم4:

الأدب الإفريقي القديم

تميز شمال إفريقيا قديما من الناحية الأدبية، بإتباعه للتقاليد الأدبية الرومانية ذلك أن روما كانت تفرض سيطرتها العسكرية على حوض المتوسط وساحله الجنوبي، وقانونها ونمط معيشتها وثقافتها ولغتها اللاتينية كذلك، ومن المعروف أن الرومان محاكون لليونان في الأشكال الأدبية، لهذا سنجد تقاليد اليونان الأدبية هي السائدة في إفريقيا آنذاك، وكانت هذه البلاد ولادة في العديد من المجالات خاصة الفلسفة والتاريخ والخطابة، من ذلك ما تركه **القديس أوغسطين saint Augustin**ابن مدينة تاغست-سوق أعراس حاليا- الذي ولد عام 354م من أب وثني وأم مسيحية، من مؤلفات أشهرها مدينة الله والاعترافات **Confessiones** وهذا الأخير هو مجموعة كتب-13 كتابا- تحكي قصة حياته، وكيف اهتدى إلى الإيمان بالله والفكر المسيحي، وتحفة أدبية ورسالة القديس أوغسطين إلى الله بأسلوب أفلاطوني.

عرف الأدب في شمال أفريقيا العروض **المسرحية الشعبية** اقتداء بالأدب الروماني والذي كان متأثرا كما سبق بالأدب اليوناني وخاصة الكوميديا التي جمعت بين الهزل والهجاء، ويبرز في هذا المضمار أبن مدينة قرطاجة"**تر انسيوس"Terentius** وهو كاتب مسرحي ولد عام 185ق.م، وذهب إلى روما عبدا حيث تعلم اللغة اللاتينية والإغريقية و:« **اتخذ من الكوميديا الإغريقية الحديثة نموذجا له، عالج في مسرحياته مواضيع التربية والأسرة والحرية بأسلوب مهذب**»، تميز أسلوبه بالبساطة والإضحاك ، وهذا ما قربه من الصيغة الاستعراضية في روما من أعماله:-فتاة أندروس **Andria** عرضت عام 166ق,م، الخص ، -جلاد نفسه، -الحماة،-مسرحية الإخوان .وشكلت مسرحياته مصدر إلهام للأدب الكوميدي الغربي في ق 19م خاصة الفرنسي والانجليزي.

تميز الأدب الروماني اللاتيني بنوع ادبي هو الأشعار القصيرة**Epigrammes**، وعرف تطورا على يد كاتولوس **Catulus** وأوفيديوس**Ovides**، ومرسيال**Matial**، وكثرت فيه أغراض الغزل والرثاء ، ومن ابناء افريقيا الذين برزوا في هذا النوع الأدبي : نيمزيان**Nemesianus** ، وهو من قرطاجنة ق 3م: «**وترك لنا ثلاث قصائد ذات طابع علمي تربوي وتتمثل في الصيد Cynétique والصيد البحري Les haslieutiques**قصيدة ثالثة بعنوان **الملاحة البحرية La Nautique**»[1]، وفي أثاره تشابه مع فرجيل الروماني والزراعيات.

ثم كورلوس **coreppus**(ق6م)، الذي ولد في قرطاجة عام 500م وانتقل إلى بيزنطة حيث:« **ألف فيها عدة قصائد اشهرها تلك التي مدح فيها القائد البيزنطي جون تروغليتا Jean troglita بعنوان الجوهانيد Johannida نسبة إلى القائد البيزنطي**»[2]، وتتكون القصيدة من ثمانية كتب و 4700 بيت مجد فيها انتصارات القائد البيزنطي في إفريقيا. ومن

1-المرجع نفسه، ص 28.
2-المرجع نفسه، ص 28.

أبرز الخطباء في إفريقيا فلوروس الذي عاش بين 70م و140م وهو صاحب كتاب"**مختصر كتاب تاريخ الرومان**" الذي تناول فيه نشأة روما.

أما في الرواية فقد شهد الأدب الإفريقي القديم ولادة أول رواية فنية في التاريخ، أي انه شهد على ميلاد نوع أدبي جديد :« **يعرف بالرواية الإطارية، التي تضم مجموعة من القصص من جهة، وبالرواية الأنوية أو الرواية، التي يرويها المؤلف نفسه بضمير المتكلم من جهة أخرى**»، وهي رواية "الحمار الذهبي".

أبوليوس -الحمار الذهبي –

هو واحد من أدباء شمال إفريقيا القدماء، برز بكونه "**أمير خطباء إفريقيا وأكثرهم نفوذا وشهرة في عصره**"، ويسمى كذلك بأبوليوس الأفلاطوني، عرف بتبحره في اللغة اليونانية والفلسفة والخطابة والموسيقى والشعر، ولد بين عامي 124و125م بمدينة مداور-مداوروش في سوق أهراس حاليا-، وكان ينحدر من عائلة ثرية حينها، درس في مسقط رأسه وفي قرطاجة (النحو والبلاغة)، وأكمل دراسته في أثينا نظرا لمعرفته باللغة اليونانية، في الفلسفة والهندسة والخطابة والموسيقى والشعر، وقد دفعه الشغف بدروب المعرفة المختلفة إلى: «**انتمى إلى عدة جمعيات، كانت لها طقوس دينية خفية، أبدى الكثير من الاهتمام بأسرارها، وتعلم حتى الرقى والتمائم السحرية حبا في معرفة الحقيقة**»، وهذا دليل على غرابة هذه الشخصية وتجاذب المعارف والفلسفات والعقائد فيها، ورغم الاحتلال الروماني وما فرضه من ديانة ونمط معيشة إلا أن أبوليوس النوميدي بقي وفيا لديانته الشرقية.

عاش لوكيوس أبوليوس في روما مدة من الزمن –عامين-حيث كان يشتغل بالتدريس والمحاكاة، وهي الفترة التي كتب فيها روايته التحولات أو الحمار الذهبي التي أكملها في مسقط رأسه، حين كان يلقي الخطب والمحاضرات، وفي أثينا وقرطاجة كذلك، ويرجح أن وفاته كانت عام 180م، تارك أبوليوس مجموعة من الآثار المتنوعة:

1-**الدفاع:** وهي مرافعة-خطبة –دافع فيها عن نفسه من جميع التهم المنسوبة إليه، استمدها من دفاع سقراط لأفلاطون، وهي تحفة بلاغية وفلسفية وتاريخية:« وتعتبر على أية حال النموذج الوحيد عن الخطابة القضائية، الذي يعود إلى المرحلة الإمبراطورية»، لهذا في مرجع أدبي وتاريخي مهم يبين أساليب الدفاع في ذلك الوقت.

2-**الأزاهير**: خطب وملخصات نثرية -23 خطبة- في أربعة كتب منها: مقارنة بين نظر الرجل ونظر النسر وخطبة عن الهند وفلاسفتها، خطبة هن العناية الإلهية .....، الطبيب اسكليبياسن وتميزت بالبلاغة القوية والفلسفة السوفسطائية والموسوعية.

3-عن اله سقراط: وهي رسالة عن القوى الماورائية-الشياطين- معتبرا إنها وسائط بين الآلهة والبشر، ومنها نوعان: نوع له صلة بالإنسان ونوع لا علاقة له بالإنسان لأنه أرقى.

4-**عن أفلاطون وتعاليمه**:موجز عن أفلاطون معلمه الأكبر وهو من ثلاثة أجزاء عن حياة أفلاطون وأقسام الفلسفة عنده، وفلسفته الأخلاقية، وقسم عن المنطق والعقل الصوري.

5-**عن العالم:** وهو خلاصة عن كتاب أرسطو عن الكون وقد أهداه إلى أحد تلاميذه، وفيه من المنطق والطبيعة والأخلاق ويمثل ما وصلت إليه الطبيعة في القرن 2 م.

6-**التحولات:** رواية تحتوي اثني عشر كتابا ن كتبت في فترة شباب أبوليوس، وكانت باللغة اللاتينية وهي المعروفة "الحمار الذهبي": « **سمحت له مواهبه أن يكتب في مواضيع متنوعة، فهو بتأليفه كتاب التحولات أو الحمار الذهبي يبرز كروائي، وبكتابه المرافعة والأزاهر يظهر خطيبا بليغا، بينما أظهرته مؤلفاته الأخرى فيلسوفا**»، لهذا فهو شخصية فريدة وموسوعية ولابد أن هذه الصفات ستنطبع في عمله الروائي"الحمار الذهبي" فهي نص أدبي كتبه فيلسوف وخطيب ومحامي.

الحمار الذهبي" أول رواية في التاريخ":

قدم أبوليوس في روايته تجربة فريدة ورمزية بطلها شاب يحمل اسمه:« **عاش إثرها عدة محن بفعل انتقاله من مالك إلى آخر قبل أن يعود إلى صورته البشرية. وقد نجح أبوليوس في أن يعطينا عن طريق الرواية صورة حية من الحياة اليومية في الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثاني الميلادي، خاصة الوجه القبيح**»،

لوكيوس وهو شاب يوناني مهتم بالسحر وطقوسه، اتجه ذات مرة من مدينة كورنت إلى هيباتا من مقاطعة تيساليا، وفي طريق سمع من بعض المسافرين قصصا مشوقة عن السحر، زادته شوقا لتجربة التحول وأعمال السحرية، وفي الطريق إلى منزل مضيفه"ميلو" التقى بصديقة لأمه نبهته إلى ضرورة الحذر من زوجة ميلو بامفيلا لأنها كانت ساحرة حسب قولها، لكن كلامها زاده فضولا وشوقا، وهو الذي كان يحلم أن يتحول إلى نسر ويحلق بعيدا، ومن أجل تحقيق رغبته هاته أقام علاقة مع خادمة بامفيلا فوتيس، التي وعدته أن تمكنه من رؤية سيدتها وهي تقوم بأعمالها السحرية، حيث كانت تختفي لتدهن جسدها بمرهم يحولها إلى بومة وتطير وتحلق بعيدا.

ألح لوكيوس على الخادمة أن تمكنه من المرهم الذي يساعده في التحول غلى طائر، فأحضرت له المرهم الخطأ، فكانت النتيجة أن تحول لوكيوس إلى حمار بدل طائر، وبدأ أعضاء الحمار تبرز تدريجيا ونبت الشعر في أعضاء جسده، و ولمن التحول لم يطل عقله وتفكيره الذي بقي إنسانيا ولم يتحول، وعدته فوتيس بأنها ستحضر له باقة من الورد حتى يستعيد بها هيئته الإنسانية، وفي انتظار حلول النهار طلبت منه أن يقضي ليلته في الإسطبل حيث كان حصان وحمار ميلو يرفسانه، حتى لا يقترب من طعامهما. والمفاجئة أن لصوصا هجموا على بيت ميلو وأخذوه ليحملوا عليه المسروقات تحت الضرب المبرح، وكان اللصوص قد خطفوا إحدى الفتيات الجميلات يوم عرسها من أجل ابتزاز والدها الغني، وقد وضعوها مع لوكيوس-الحمار- في المغارة أي المخبئ ، وقد حاولت الفتاة رفقة لوكيوس الفرار لكنهما فشلا ونالا حيال ذلك العقاب الشديد، إلى أن حضر إلى المغارة شاب ادعى أنه صاحب خبرة في مجال اللصوصية وأنه مستعد للتعاون مع اللصوص، لكنه لم يكن غير خطيب الفتاة، وبفضله تمكنت الفتاة من الفرار رفقة لوكيوس.

أرادت الفتاة مكافأة الحمار على جميله فطلب من أبيه أن يضمه إلى إسطبله، لكن رئيس الإسطبل كان يعذبه ويعامله المعاملة القاسية، فيستخدم في إدارة الرحى وفي جلب الحطب من الغابة..إلخ، لكن بعد موت الفتاة سرقه رئيس

الإسطبل، وبعد مدة وقع في يد مجموعة من الرهبان –عبادة الربة إيزيس- فكانوا يحملون على ظهره تمثالهم ، ونل منهم عذابا شديدا، ولم يتخلص من تعذيبهم إلا بعد أن سجن الرهبان، حيث اشتراه سيد جديد كان يستخدمه في طحن الحبوب، ثم بعد موت السيد انتقلت ملكيته إلى بستاني، وبعده إلى جندي فطاهيين للحلوة عند أحد الأثرياء، وكانت هذه الأخيرة أفضل المغامرات في رحلة التحول، حيث كان ينعم بالطعام اللذيذ مما يحضرانه من منزل سيدهما، إلى اكتشف الأخوان سر الحمار الذي كان يحب أكل الحلوة، حيث صارحا سيدهما بأمر هذا الحمار الذواق للطعام اللذيذ، وكان هذا الرجل قد علم لوكيوس بعض الحيل والألعاب لاستخدامه في العروض المضحكة، لكنه قرر تقديمه في عرض مخزي، وهذا ما لم يقبله الحمار حيث فر هاربا.

نام لوكيوس على شاطئ البحر وعندما استيقظ لاحظ أن القمر في كبد السماء بدر، وقد استبشر بهذا خيرا، لهذا قام بطقس ديني وتضرع إلى آلهة السماء إزيس لكي تخلصه من هذه اللعنة وتعيده إلى هيئته الإنسانية، وقد زارته إزيس في الحلم وأخبرته باقتراب ساعة الفرج، حيث استيقظ ليشاهد موكب الآلهة إزيس وكان الكهنة يحملون أكاليل من الورد، أسرع لوكيوس إلى الإكليل وأكل من الورد ليستعيد وضعه الإنساني، وهذا ما اعتبره موكب الكهنة بمعجزة الربة إزيس، لهذا واصل لوكيوس رحلته معهم لتمجيد وعبادة إزيس، وكرس حياته لعبادتها، حتى وصل إلى درجة القدسية وصار كاهنا .

تعد الحمار الذهبي رواية كوميدية ورواية مغامرات، سمحت لأبوليوس:« **أنه بمثابة نص أساس لكل من فولبير ونيرفال فرواية الحمار الذهبي رواية مسارية تقود الشاي لوسيوس من حياة جسدية، الدين موجود فقط في شكله المنحط، السحر، الحب هو حب دنس بجزم، وماجن بشكل ورود-إلى اهتدائه ليصبح كاهن الإلهة إيزيس التي أنقدته**»، لهذا فهي تمثل مرآة للعصر الذي عاشه أبوليوس، الذي ميزه التشتت الاجتماعي والجسدي ما يدفع الفرد إلى البحث عن حياة أخرى في جسد آخر.